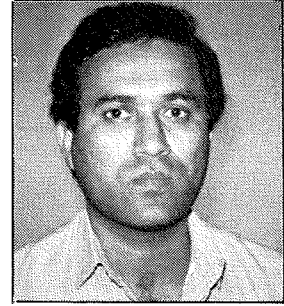


الجمعة

بقلم:
حسين
صبري
ابوظبى



بطارء الرجل سنيته وتصارعه.. يغلبها مرة وتصارعه مرات.. تبعث الامل في نفسه حيناً لتقتله في صدره احياناً كثيرة.. يالف مرارة ايامه.. يستعذب انفاسها الحارقة.. يطوى احزانه.. يلوح الهدف بعد معاناة وصبر.. يبتسم له حظه.. لقد طال عيوسه في وجهه وتعقدت من امامه سحنته.. تفسح له ايادي النعمة دربا رفيقا لا يمل السير فيه.. تغدق عليه بفيض من البهجة لا يراها تنقضي في اعمال متواصلة لو قدر له ان يعيشها..

يغتم اخيرا فرصته للسفر.. يحلم بها طويلا.. يستطيع الآن ان يعمل ويعمل وان يغير من حياته ويحقق ما تمناه.. يمتلك فرصته.. تصبر بين يديه.. تساوره الشكوك في حقيقتها.. يتذكر انه تصور وتوهم.. لم يطمع لحظة في ان يصير الى ما صار فيه..

تنفس الرجل نفسا عميقا.. استرخى.. لجأ الى حلمه.. يراهم في عينيه.. يودع في نظرتهم حضنا رطبا.. ترتدى يداها بين يديه..

يهمس اليها:
اصبري.. سأسعى بكم..
قالت بآلم ودمعة تكاد تغلت من بين اهدابها المرتعشة:

لكنك ستغيب..
اظل على صفاره وهم يحملقون فيه.. لا يدركون لماذا قرر الذهاب..

اتجه اليها وقال برجاء بالغ:
- انهم منا.. كوني لهم..

اجابته من فورها:
- اني لهم... ولك..

يوقظه الواقع الى حلم غريب تمنى من قبل لو يطل عليه.. تسترضيه ايامه.. يسعى بطاقة لم يئنبه يوما انه يمتلكها.. توشك ان تنضب في

ساعديه.. في صدره.. في عقله.. تحمله كلمات وريقات صغيرة تاتي.. الى هناك.. مع انفاسهم الدافئة وصراخهم ومطالبهم التي لا تنتهي.. يبتسم.. يلقي بوريقاتهم على صدره ويحلم.. يغمض عينيه.. يلهم بين جفونه.. تنبعث حياة جديدة في عروقه.. تلتهم انفاسه.. يخرج مليئا بطاقة وشبابه الذي صنعه لنفسه من كلماتهم الحلوة.. يزهر في كفيه ودمه نعمة يرونها حلما يولد في لحظات خاطفة..

يحمل اليهم.. هناك.. امانهم واقعا حيا لا يصدقونه.. تاتي الكلمات من نبضهم وهمساتهم تلفه بشوق لذيذ.. يغفو.. يصحو على اطلالته وحروفه.. يميزها جيدا.. يصنع منها في خياله شعرا وورودا باسمه يتلف.. يكبح لهفته.. يلهم بين جفنيه بقوة.. تنبعث حياة جديدة في عروقه.. يخرج مليئا بطاقة ك مخلوق جديد يصنعه في نفسه.. لا يصدق صنعته.. يسعى.. يتحرك.. تخرج من بين اصابعه وخلجات عقله حياة حلوة وصور باهجة يحسده عليها غيره.. وهو في صحوته لا يعبا بنظراتهم.. يراها حروفا متلهفة تحمله وريقاتهم من هناك.. تخفف من اغترابه وقسوة الفراق.. يعزى روحه بان غربته سببا لسعادتهم..

يبذل من جسده العرق والدم.. يغزل لهم ظلا رحبا طيبا.. تتعب الايام من عناده.. تنساق بين يديه لا تعي لحظاتها.. يعب منها في نهم.. يرى فيها غدا آمنا.. لم يذكر ان له ماضيا راه.. يقبض على حاضره بكف عنيدة..

من جديد.. تاتي وريقاتهم.. تحمله كلماتهم الى اغفاءة لذيذة.. يحلم بها.. يرى عيون صفاره تطل من خلفها عيانا يلحهما جيدا.. يتغامزان.. يشير اليها بطرف خفي:

- لا تقلقي.. ساتي..

يفيق.. يبقى حلمه في صدره.. تنبعث فيه حياة شابة فتية.. يسعى.. تلتهمه نظرات الآخرين من حوله.. سؤال يتردد في عيونهم:
- كيف يسعى كالتائه الحالم.. والى متى؟

يرى نظراتهم في كل مرة يرمقونه حروفا دافئة.. آتية من هناك.. تحملها كلماتهم اليه.. يصنع لنفسه منها شعرا بديعا يسطره على لسانه باوزان ابداعها لم يسبقه فيها خيال شاعر ولا لسان متخيل بارع.. الوريقات تاتي تستحنه على المجيء.. يودع في ايام عنيدة فرحة كاد ان ينساها.. يقرر في لحظة.. يذهب.. هناك.. وسط

انفاسهم الدافئة واحلامهم العذراء.. تلتقي القلوب في نبض واحد وتستأنس العيون باللقاء.. يختبئ الكل في ظل ضلع كبير ارحب من وجودهم كله.. يعيون من انسام اللقاء لا يشبعون.. يملأ البيت بصوته ومداعباته.. يسعى الى عينيها يرقب لغتها يتغامزان.. يمرحان.. يشبعان من الذكرى وعناق احلامها.. يصوران الواقع.. يلفانه بنوب لا يخدع ولا يعرف الخوف الذي كان..

تاتي لحظة العودة.. لكنها لا تبعث في نفسه الملل ولا تمل عليه حلاوة القرب لغة الرقص

لاغترابه.. تدفعه بسماتهم النقية الجديدة التي صورها بيديه.. وحبات عرقه.. يذهب.. يسعى حين تاتي كلماتهم من هناك.. تحمله وريقاتهم الى اغفائه الحاملة يصورها دنيا غريبة.. يحيا بها.. يسعى.. بطاقة خارقة.. تلتهمه نظرات الآخرين من غير شفقة والسؤال القبيح يستقر في عيونهم: انه لا يشبع.. السنوات في عمره لحظات سائفة.. هل صنع من الصخر؟ ام تراه من غير البشر؟

يرى نظراتهم وسؤالهم حلما يمتلكه ويتمنونه.. يصنعه ويعشقونه.. تاتي كلماتهم.. تحمله الى هناك.. وسط الانفاس الدافئة يملأ احساسهم صدره.. تبعث الحياة من جديد في نفسه.. تاتي الوريقات..

- لا تقلقي.. اصبر.. اصبر..

يضع كلماتها صدرا ولدا يدق بين اضلعه.. بصرا يرى به عالمه الجديد.. خطوة لا تعرف الملل ولا تحس الالم ولا تعرف الشكوى والضجر..

يحلم.. يسعى.. يقبض على حاضره بكف عنيدة.. يمتلكه.. يتوارى من ثقل الايام.. يسخر منها..

تمر سنوات اخرى.. يغلبه شوق لذيذ.. يقرر.. يذهب..

وسط انفاسهم الدافئة واحلامهم العذراء.. يلتقي الجميع في نبض واحد وفي حضن واحد.. يرى العيون تائهة.. يحاول ان يلهمها.. تاتي نظرات صفاره في لحظات قصيرة.. تنصرف بعدها الى لهو عجب.. يلتقي الصغار به في كلمات باردة.. كصدور لا تنبض..

يسرق الملل بقايا احلامه.. يقرر في نفسه.. يذهب الى هناك..

يحاول ان يلهم.. يسرى في عروقه شيء لا يدركه.. يلتفون من حوله.. يتضاحكون.. يتمرقق.. بسرقة الشيء.. يسلب من عينيه بقايا اغفاءة حاملة.. تتطاير ضحكاتهم.. يسقط.. تصير ضحكاتهم صراخا وهذيانا مرا حين يلحون وجه ابيهم يجمد.. يصير قطعة باردة من الجليد.. تدمع عينا زوجته وهي ترمق وجهه البائس في وجوم.. تصرخ.. تسرق الصرخات هداة الليل من حولهم.. يتجمهر عديد من الافراد.. يتكاثرون في لحظات خاطفة..

في الدار الانيقة.. في الحديقة الفاخرة.. يلتف الجميع من حولهم.. تسترسل كلمات الرحمة من شفاههم حين يعرفون بموت رجل.. صراخ حاد.. يتساءلون: دون شكوى؟

يقترب بعضهم منها.. يرون في عيني الزوجة كبرياء واصراراً على شيء ما.. تنطق عيناها وحروف لسانها بجملته حادة متبجحة:

- لا يجب ان تبقى جثته طوال الليل الى جوارى هنا..

ثم تلقى امرها في قدرة غريبة تعجب لها الجميع:

- فلنسرع في دفنه حالا... ولنسترح.. □